

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[70] سؤال: هناك سؤال يطرح نفسه وهو: لماذا تبدأ بعض العبارات والجمل القرآنية بلفظة "لعل" مثل قوله تعالى (لعلكم تفلحون)، و(لعلكم تتقون)، و(لعلكم ترحمون) وهي كما نعلم تفيد التردد الذي لا يليق بالله سبحانه العالم بكل شيء. وقد صارت هذه المسألة ذريعة بأيدي بعض أعداء الإسلام الذين انطلقوا يقولون: إن الإسلام لا يعطي وعوداً قطعية بالثواب، فوعوده مرددة غير مجزوم بها، لأنها تبدأ - في أغلبها - بـ "لعل". الجواب: من حسن الاتفاق أن هذا النمط من التعبير يشكّل جانباً من عظمة هذا الكتاب العزيز، وواقعته في النظرة إلى الأمور وفي بيانها، ذلك لأن القرآن استخدم هذه اللفظة في كل مقام يتوقف الإنتاج فيه على شرائط ومقدمات قد يأشار إليها ولوح بها إجمالاً بلفظة "لعل". فالتسكوت عند الاستماع إلى القرآن والإنابة والتوجه إلى ألفاظ الآيات بالقرآنية مثلاً لا يكفي - بمجردة - لإحراز الرحمة الإلهية، بل لابد من فهم الآيات ودرك معانيها، ومقاصدها، وتطبيق توصياتها، وتعاليمها وأوامرها ونواهيها، ولهذا يعلق سبحانه شمول الرحمة بقوله: (وإذا قرء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون) (1). وعلى هذا الأساس لو كان القرآن يقول أنكم سترحمون حتماً كان بعيداً عن الواقعية، لأنّ لتحقيق هذا الموضوع كما قلنا شرائط أخرى أيضاً، فيكون التعبير بالجازم تجاه لهذه الشرائط، ولكنّه إذا قال "لعلكم" فإنّه يكون قد أخذ تلك الشرائط بنظر الاعتبار وحسب لها حسابها. بيد أن عدم الالتفات إلى هذه الحقيقة جرّ البعض إلى الاعتراض على مثل هذا التعبير في الآيات القرآنية إلى درجة أن بعض علمائنا - أيضاً - ذهب إلى _____ 1

- الأعراف، 204.